

المفردة الرابعة: تطور النحو البصري ونضجه . . .

تطور النحو البصري عند الخليل:

وصل النحو الى الخليل وتلاميذه بعد ان قطع شوطا من التطور بفضل هؤلاء العلماء الذين درسناهم ومن عاصرهم من العلماء المغمورين واعتمد هؤلاء الاعلام على سماع لغة العرب الفصيحة وآيات القران الكريم وقراءاته والشعر وما فيها من ظواهر ووضعوا الاقيسة والأصول والقواعد عندما سمعوا تلك الشواهد ولإثبات تلك القواعد استخدموا القياس والتعليل والافتراض والاستنباط والقول بالعوامل وتقديرها وأكمل الخليل ما وضعه النحاة السابقون له ونتيجة هذا الأكمال والتطور ظهر لنا (الكتاب) لسيبويه.

الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

هو الخليل بن احمد بن عبد الرحمن الأزدي الفراهيدي ولد سنة (١٠٠هـ) واصله من عمان وقضى شبابه في البصرة وكان اعلم الناس واذكارهم وأنبيهم ومن أكثرهم ورعا وزهدا في مباحج الحياة والسلطان وانصرف الى العلم وكان يحج بين عام واخر وهذا يدل على ان علمه جاء من إيمانه المتين بالله سبحانه وتعالى.

س: ماهي أهم أعمال الخليل؟

الجواب:

- ١- ابتدع الخليل ترتيب المعجم في معجم (العين) حيث رتب معجمه حسب مخارج الحروف فابتدأ بالعين وهي أحد حروف الحلق وهي (ع غ خ ق ح هـ) والهمزة) وبعد هذه الحروف رتب مخارج حروف اخرى حسب قربها من الحلق.
- ٢- ألف كتبا كثيرة لم يصل اليها منها الا القليل وهي (في العوامل) و(العين) و(الشواهد) وفي الموسيقى والنغم والايقاع.

٣. -طور النحو ووضع أصوله وقواعده الحقيقية وهذا واضح في كتاب سيبويه: وهو مختصر آراء الخليل فكان سيبويه طالبا في حلقة الخليل واخذ علمه منه وجمع علم الخليل في هذا الكتاب وتمثل آراء الخليل العمود الفقري للكتاب فقد ذكره أكثر من خمسمئة مرة في كتابه.

٤. -له الكثير من الآراء في علوك اللغة العربية كافة من شعر ونحو وصرف وصوت ولغة وفقه وقراءات وتفسير بل هو موسوعة علمية وكان الخليل متابعا لأقوال أساتذته النحاة السابقين وأكمل مسيرتهم حتى نضج النحو وطور القياس والعلل ووضع الأصول النحوية حتى لا يخطأ الناس والنحاة في الكلام وعن طريق اصول النحو ثبتت القواعد النحوية ولم يبلغ النحو النضج الا على يديه حتى عد الخليل أعظم نحوي عرفته الأرض.

علل: الخليل أعظم نحوي عرفته الأرض. أو لم يكن هناك نحوي أعلم منه.

الجواب: إن هذه الأقوال صحيحة. لأسباب وهي:

١- جهود الخليل البارزة في النحو والصرف والصوت واللغة وحتى في الشعر والأدب وعلوم القرآن الكريم، ومن هذه الجهود.

أ- جهود في علم الصوت في وصف الحروف ومخارجها وما يحدث فيها من مظاهر صوتية في القلب والإعلال والإبدال والإدغام والإمالة والوقف والابتداء... الخ من الجهود الصوتية والمعجمية التي اعترف بها القدماء والمحدثون وهذه المباحث الفها الخليل لخدمة قراء القرآن وهو أحدهم وأشهرهم.

ب- كان يوجه الشعراء بعدم الاسراف في الخروج عن القافية بحجة الضرورة الشعرية مثل ترخم الأسماء في غير النداء ولا يلجؤا إليها إلا في حالات ضرورية.

ج- وضع الكثير من المصطلحات النحوية مثل المسند والمسند اليه والحذف والاستغناء والفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر والرفع والنصب والجر والحزم والدعاء... الخ من المصطلحات وتمثل آراؤه العمود الفقري في كتاب سيبويه.

٢- أكمل بحوث شيوخه واستقر النحو على يديه حتى وضع الاصول واخترع نظرية العامل والمعولات في النحو وتمثل هذه الأصول وهذه النظرية نضج النحو.

س: ماهي أبرز الظواهر في منهج الخليل النحوي؟

الجواب: هذه أبرز ظواهر منهجه النحوي . وهي:

أولاً: أول من فصل القول في تحليل التركيب والعبارات المسموعة عن العرب كقولهم : (لاسيما) فقال: لا: نافية للجنس وسي . هو اسمها منصوب وما: زائدة . وشبهه (لاسيما) في (لا مثل زيد) اي (سي) تشبهه (مثل) لان ما في غير موجودة لذا هي زائدة مع (سي) وقاس (لاسيما) على قوله تعالى : (واضرب لهم مثلا ما .) ف (لا) تشبهه عمل . اضرب) و(سي) تشبهه (مثلا) و(ما) في المثالين زائدتين . اي ان (لا) اعملت في سي واضرب عمل في مثلا و(لا) هي مشبهة ب(إن) المشبهة بالأفعال .

والمثال الثاني: عدم اجازته لقول بعضهم (أحقا إنك ذاهب) والصحيح هو : (إنك ذاهب حقا) وعدم اجازته (يوم الجمعة إنك ذاهب) والصحيح هو (إنك ذاهب يوم الجمعة) ولا (لا محالة إنك ذاهب) والصحيح هو (إنك ذاهب لا محالة) وعدم اجازة هذه التراكيب لأن (إن) في بداية الكلام تكون مكسورة ولا يجوز أن تقع في وسط الكلام و(إن) وقعت وسط الكلام تكون مفتوحة وفي هذه الحالة تكون معمولة أما المكسورة فتكون عاملة وقاسوا (لا محالة انك ذاهب) على (أفي حق انك ذاهب) وعلى (أفي أكبر ظنك انك ذاهب) اذا حملوا او قاسوا : (ان) على (ان) وقاسوا الكلام (أفي أكبر ظنك انك ذاهب) على قول الشاعر:

أحقا بني أبناء سلمى بن جندل تهددكم إياي وسط المجالس؟

واصل الكلام : (أفي حق تهددكم إياي)

وقال: إن (لن) أصلها: لا + أن فحذفت الألف والهمزة فأصبحت: لن . واصل ليس: هو لا + يس فحذفت الإلف والهمزة أيضا .

ثانيا: اكتشف الخليل نظرية العامل . وظهرت فائدة هذه النظرية ليس في اثبات القواعد النحوية بل تعديها الى خدمة التحليل اللغوي النحوي وتميز العوامل الضعيفة عن القوية فالفعل اقوى من الحرف والحرف اقوى من الاسم في العمل . ومثال ذلك الموازنة بين (كان) و(إن) وقوله كان اقوى من إن . ل لأسباب التالية:

إن	كان
١-تعمل عملين عكس عمل كان تنصب الأول وترفع الثاني	١-تعمل عملين، ترفع الأول وتنصب الثاني.
٢-عامل فرعي لأنها حرف مشبه بالفعل عملها	٢-عامل أصلي لأنها فعل
٣-لا تصرف لأنها حرف	٣-تصرف تصرف الافعال كان يكون كن
٤-لايتقدم خبرها على اسمها، فلا يجوز (ان اخوك زيدا) مثلا	٤-يتقدم خبرها على اسمها، مثل:(كان اخاك زيد)
٥-لا يحذف اسمها، فتقول: انه جميل.	٥-يحذف اسمها:(كان جميلا)
٦-يكف عملها بدخول ما (انما المؤمنون اخوة)	٦-لايكف عملها بدخول ما
٧-(إن)واحدة لأنها حرف	٧-كان ثلاثة أنواع هي: كان ناقصة، وكان زائدة وهي تقع بين المبتدأ والخبر، وكان تامة تكفي بمر فوعها وهو فاعل.

وأوزان بين (كان)و(ليس)فقال:(كان) عامل أصلي لأنها متصرفة و(ليس) غير أصلي لأنها مبنية وشبه(ما)ب(ليس)وعد(ما) أضف من (كان)لان (ليس)هي أضف من كان وليس مشبهه ب(كان).

- تعليق العامل: هو اعمال في المعنى دون اللفظ لوجود عامل اخر يمنعه من العمل اللفظي.

ومثال ذلك: قولك: اشهد انه لمنطق انه لمنطق اشهد والله انه لذهاب. انه لذهاب والله فاللام الداخلة على (منطق وذهاب) هي لام الابتداء وعلقت عمل (ان) اي(ان) غير عاملة والاسم الذي بعدها مبتدأ والاسم الذي بعد المبتدأ هو خبره. و(انه)زائدة لا عمل لها لان اللام علقت عملها.

ومثال اخر: تعليق عمل حروف الجر مثل (رب)فهي تدخل على المبتدأ والخبر وعملها معلق كقولهم: رب ضارة نافعة ف(ضارة نافعة)مبتدأ وخبر ولم تعمل بهما (رب)حرف الجر لأنها تعمل في اللفظ فقط وليس في المعنى ف(رب)حرف

جر شبيهه بالزائد والمبتدأ (ضارة) مجرور لفظاً مرفوع محلاً . ومثله في التعليق تعليق عمل (يعلم) في الآية (لأن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء)؛ ف(ما) بمنزلة أيهم في (لقد عملت أيهم أفضل) ف(يعلم) في الآية لا تعمل لأن (ما) استهامية في محل نصب مفعول به مقدم وتدعون هي الفعل الذي نصب ما ومن هنا يسقط عمل يعلم واما (علمت) في المثال فهي ايضا علق عملها لأن افضل عمل في (أيهم) لذا تشابهت (ما) و (أيهم) ولذا قالوا: احدهما بمنزلة الأخر.

- قدر العوامل من حيث الظهور والخفاء فقولهم: أهلا وسهلا . وهي مصادر نصبها أفعال محذوفة مقدرة نزلت اهلا وحللت سهلا .

وتقدير لعامل في المنصوب (القرطاس) هو (اصبت القرطاس):

وتقدير للعامل (الفعل المحذوف) في قول الشاعر:

الارجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

وتقدير الكلام: إلا تروني رجلا .

- استخدم القياس كثيرا ومنه قياس (كما) على (ربما) اي (الكاف) و(رب) حروف جر بدخول (ما) عليهما كفت عملهما ف(كما) على (ربما) في العمل .

- استخدم التأويل والتقدير كثيرا للفعل العامل للنصب في المدح والذم .

- تخريج بعض الآيات وردها الى القاعدة الصحيحة عن طريق القياس والتأويل مثال ذلك عندما قال النابغة الذبياني:

كليبي يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

فقاس هذا البيت على بيت اخر فيه منادى مكرر وهو (يا تيم تيمعدي) فصار عنده (تيم تيم) اسما واحدا لذلك قاس (اميمة) على (تيم تيم) لذا عد (اميمة) التي هي اسم واحد غير مرخم بمثابة اسمين (اميم +ة) وقاسها على (تيم تيم) في حالة كونها اسمين .

- استخدم السماع واعتمد عليه كثيرا وهو الأصل الذي وضعت عليه الاقيسة وقعدت عليه القواعد بعد النظر الى كثرة المسموع واطراده وقلته واستخدام مصطلحات: مطرد . حسن . كثير . غالب . نادر . شاذ .

اعتمد على القياس والتعليل والتأويل .

اعتمد على القراءات ولم يطعن بها ولم يخطئ قراءة وانما يقيس عليها ما يضعه من عبارات او يقيسها على ما جاء الكلام العرب الفصيح ونستدل على ذلك من قول سيبويه عندما سال الخليل عن قوله عز وجل (وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) ورأى الخليل هنا: (انها) بمنزلة (لعل) اي تقدير الكلام (وما يشعركم لعل اذا جاءت لا يؤمنون) .